# الرحـلة الأولى

مَعْشَرَ الْأَبْنَاءِ الْكِرَامِ وَالْإِخْوَةِ الْأَفَاضِلِ، حَيَّاكُمُ اللهُ وَبَيَّاكُمْ، وَسَدَّدَ خُطَاكُمْ، وَأَحْسَنَ مَثْوَاكُمْ، وَبَلَّغَكُمْ مُنَاكُمْ. وَمِنْ كُلِّ خَيْرٍ أَعْطَاكُمْ، وَمِنْ كُلِّ شَرٍّ وَقَاكُمْ، وَعَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ تَوَفَّاكُمْ.

نَحْنُ الْآنَ تَرْسِي سَفِينَتُنَا "إِلَى الدِّيَارِ الْآخِرَةِ" عَلَى أَحَدِ شَوَاطِئِ الدُّنْيَا، أَلَا وَهُوَ **شَاطِئُ التَّوْبَةِ إِلَى اللهِ جَلَّ وَعَلَا** .وَقَدْ وَعَدْنَاكُمْ أَنْ نَنْطَلِقَ بِرِحْلَتِنَا الْبَحْرِيَّةِ الْأُولَى مِنْهُ، وَهَا نَحْنُ أُولَاءِ نَفِي بِوَعْدِنَا.

أَبْنَائِي الْكِرَامَ وَبَنَاتِي الْكَرِيمَاتِ، إِخْوَانِي الْأَكَارِمَ وَأَخَوَاتِي الْمُؤْمِنَاتِ، اسْتَعِدُّوا لِلشُّرُوعِ فِي رُكُوبِ "السَّفِينَةِ الْمُاخِرَةِ"، الَّتِي سَتُفْتَحُ لَكُمْ أَبْوَابُهَا بَعْدَ حِينٍ.

وَالْآنَ ارْكَبُوهَا قَائِلِينَ :﴿...**بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾

]سورة هود: 41.[

شُدُّوا عَلَيْكُمْ أَحْزِمَةَ الْعَزْمِ وَالْحَزْمِ، وَتَأَهَّبُوا بِمَا يَلْزَمُكُمْ، وَرَاقِبُوا قُلُوبَكُمْ، وَاحْذَرُوا اللُّصُوصَ وَقُطَّاعَ الطُّرُقِ وَسُرَّاقَ الْوَقْتِ؛ مِنَ الْبَطَّالِينَ الْمُتَخَاذِلِينَ الْمُثَبِّطِينَ. وَأَعِدُّوا زَادَكُمْ لِهَذِهِ الرِّحْلَةِ الْأُولَى الَّتِي سَنَنْطَلِقُ فِيهَا مِنْ شَاطِئِ التَّوْبَةِ، وَلْيَكُنْ زَادُكُمْ فِيهَا تَقْوَى اللهِ تَعَالَى وَطَاعَتَهُ وَمُرَاقَبَتَهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ؛ فَمَا خَابَ مَنْ تَزَوَّدَ بِالتَّقْوَى، وَمَا خَسِرَ مَنْ رَاقَبَ رَبَّهُ فِي الْخَلَوَاتِ.

## يَا عَبْدَ اللهِ، ارْكَبْ مَعَنَا السَّفِينَةَ الْمَاخِرَةَ إِلَى الدِّيَارِ الْآخِرَةِ

تَهَيَّؤُوا -رَحِمَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ- لِمَا سَيُلْقَى عَلَيْكُمْ مِنَ الْعِلْمِ النَّافِعِ الْمُسْتَلْزِمِ لِلْعَمَلِ، وَأَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَرْزُقَكُمْ حُسْنَ الْإِصْغَاءِ وَحُسْنَ الْفَهْمِ، وَأَنْ يُعِينَكُمْ عَلَى الْعَمَلِ بِمَا عَلِمْتُمْ؛ فَإِنَّمَا الْعِلْمُ يُرَادُ لِلْعَمَلِ، كَمَا أَنَّ الْعَمَلَ يُرَادُ لِلنَّجَاةِ.

فَإِنْ كَانَ الْعَالِمُ تَارِكًا لِلْعَمَلِ، كَانَ الْعِلْمُ كَلًّا عَلَى الْعَالِمِ. وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عِلْمٍ عَادَ كَلًّا، وَأَوْرَثَ ذُلًّا، وَصَارَ فِي رَقَبَةِ صَاحِبِهِ غُلًّا .قَالَ الْإِمَامُ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- (أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ، الْمُتَوَفَّى سَنَةَ 463 هـ) فِي كِتَابِهِ "اقْتِضَاءُ الْعِلْمِ الْعَمَلَ": "إِنِّي مُوصِيكَ يَا طَالِبَ الْعِلْمِ بِإِخْلَاصِ النِّيَّةِ... وَاعْلَمْ أَنَّ الْعِلْمَ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ، فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا ارْتَحَلَ."

يَا مَنْ تَرْكَبُ مَعَنَا "السَّفِينَةَ الْمَاخِرَةَ"، كُنْ عَلَى حَذَرٍ شَدِيدٍ وَيَقَظَةٍ تَامَّةٍ مِمَّنْ يُرِيدُ أَنْ يُفْسِدَ عَلَيْكَ طَاعَتَكَ لِرَبِّكَ؛ فَيَمِيلَ بِكَ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ، وَيَشْغَلَكَ بِالصَّوَارِفِ، وَيَلْحَقَ الْعَلَائِقَ، وَيَضَعُ فِي طَرِيقِكَ الْعَوَائِقَ؛ قَصْدَ تَضْيِيعِ أَوْقَاتِكَ فِيمَا لَا يَنْفَعُكَ، بَلْ يَعُودُ عَلَيْكَ بِالضَّرَرِ وَالنَّدَمِ وَالْخَيْبَةِ.

كُنْ حَذِرًا، لَبِقًا، كَيِّسًا، فَطِنًا. كَمَا قَالَ ذَاكَ الْقَائِلُ :

**إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا فُطَنَا *** طَلَّقُوا الدُّنْيَا وَخَافُوا الْفِتَنَا**

**نَظَرُوا فِيهَا فَلَمَّا عَلِمُوا *** أَنَّهَا لَيْسَتْ لِحَيٍّ وَطَنَا**

**جَعَلُوهَا لُجَّةً وَاتَّخَذُوا *** صَالِحَ الْأَعْمَالِ فِيهَا سُفُنَا**

## يَا عَبْدَ اللهِ، ارْكَبْ مَعَنَا السَّفِينَةَ الْمُاخِرَةَ إِلَى الدِّيَارِ الْآخِرَةِ

وَالْآنَ، تَأْتِي إِشَارَةُ انْطِلَاقِ الرِّحْلَةِ الْبَحْرِيَّةِ الْأُولَى بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى، وَهِيَ رِحْلَةٌ مَيْمُونَةٌ مَأْمُونَةٌ نَافِعَةٌ -إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى- نَتَحَدَّثُ خِلَالَهَا بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْنَا وَيَسَّرَ لَنَا حَوْلَ مَوْضُوعِ **"التَّوْبَةِ"**؛ نَتَحَدَّثُ عَنْ مَاهِيَّتِهَا وَحَقِيقَتِهَا، وَأَسْبَابِهَا وَشُرُوطِهَا، وَمُقْتَضَيَاتِهَا وَعَلَامَاتِ صِحَّتِهَا، وَثَمَرَاتِهَا وَعَلَامَاتِ قَبُولِهَا.

وَقَدْ يَسْأَلُ سَائِلٌ مِمَّنْ يَرْكَبُ مَعَنَا هَذِهِ السَّفِينَةَ فَيَقُولُ: "لِمَاذَا بَدَأْتَ بِالتَّوْبَةِ؟".

فَنُجِيبُ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ بِأَنَّ هَذَا الْبَحْرَ الْخِضَمَّ الَّذِي اتَّسَعَتْ أَرْجَاؤُهُ وَتَلَاطَمَتْ أَمْوَاجُهُ وَهَبَّتْ رِيَاحُهُ وَاشْتَدَّتْ عَوَاصِفُهُ وَلَاحَ خَطَرُهُ -أَعْنِي بِهِ بَحْرَ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا وَمَا فِيهَا مِنْ تَجَاذُبٍ وَتَنَازُعٍ وَتَسَارُعٍ وَتَنَافُسٍ عَلَى مَتَاعِهَا وَشَهَوَاتِهَا- لَا يُمْكِنُ الْإِبْحَارُ فِيهِ بِأَمَانٍ إِلَّا بِالتَّوْبَةِ أَوَّلًا. قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾ [سورة الحديد: 20].

إِنَّهُ لَزَمَنٌ عَصِيبٌ، وَلَكِنْ مَا دُمْنَا نَعِيشُ فِي دُنْيَا النَّاسِ هَذِهِ، فَلَا انْفِكَاكَ لَنَا مِنْ مُخَالَطَةِ أَهْلِهَا، فَلَا بُدَّ لَنَا مِنْ زَادٍ نَنْجُو بِهِ مِنْ خَطَرِهَا وَضَرَرِهَا، وَنَقِي بِهِ أَنْفُسَنَا شَرَّهَا وَشَرَّ أَهْلِهَا.

وَالْآنَ أَيُّهَا الْمُسَافِرُونَ الْكِرَامُ، حَانَ وَقْتُ الْحَدِيثِ عَنِ **التَّوْبَةِ**.

## يَا عَبْدَ اللهِ، ارْكَبْ مَعَنَا السَّفِينَةَ المُاخِرَةَ إِلَى الدِّيَارِ الآخِرَةِ

يَا عَبْدَ اللهِ، وَيَا أَمَةَ اللهِ، احْمَدَا اللهَ عَلَى مَا مَنَّ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ بِهَذَا الْخَيْرِ الْعَمِيمِ الَّذِي يَأْتِيكُمْ وَأَنْتُمْ بَيْنَ أَهْلِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ، آمِنِينَ فِي أَسْرَابِكُمْ، تَكْتَنِفُكُمُ النِّعَمُ مِنْ دِفْءٍ وَرَاحَةٍ وَأَمْنٍ وَأَمَانٍ وَطُمَأْنِينَةٍ، وَذَلِكَ بِفَضْلِ اللهِ، وَهُوَ ذُو الْفَضْلُ الْعَظِيمُ. فَلَا تَنْسَ يَا عَبْدَ اللهِ أَنْ تُقَيِّدَ هَذِهِ النِّعَمَ بِشُكْرِ الْمُنْعِمِ بِهَا، وَهُوَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا؛ حِفَاظًا لَهَا، وَاسْتِجْلَابًا لِغَيْرِهَا مِنَ النِّعَمِ الْكَثِيرَةِ.

## فَمَا هِيَ التَّوْبَةُ؟

**أَوَّلًا: التَّوْبَةُ لُغَةً**: مِنَ الْفِعْلِ: تَابَ، يَتُوبُ، تَوْبًا وَتَوْبَةً، وَهِيَ تَعْنِي الرُّجُوعَ. يُقَالُ: تَابَ الْعَبْدُ، أَيْ: رَجَعَ عَنْ مَعْصِيَتِهِ إِلَى طَاعَةِ رَبِّهِ. وَقَوْلُنَا: تَابَ اللهُ عَلَى الْعَبْدِ، مَعْنَاهُ: وَفَّقَهُ لِلتَّوْبَةِ وَقَبِلَهَا مِنْهُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿**غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ...**﴾ [سورة غافر: 3]. وَقَدْ تَأْتِي التَّوْبَةُ بِمَعْنَى الرُّجُوعِ الْمُتَكَرِّرِ، وَمِنْهُ اسْمُ اللهِ "**التَّوَّابُ**"، أَيِ: الْكَثِيرُ الرُّجُوعِ عَلَى عِبَادِهِ بِالْمَغْفِرَةِ. وَقَالَ تَعَالَى عَنِ الْعَبْدِ الرَّجَّاعِ: ﴿**...فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا**﴾ [سورة الإسراء: 25].

**ثَانِيًا: التَّوْبَةُ اصْطِلَاحًا (فِي الشَّرْعِ)**: ذَكَرَ أَهْلُ الْعِلْمِ لِذَلِكَ تَعْرِيفَاتٍ عِدَّةً، نَنْتَقِي مِنْهَا:

- مَا أَوْرَدَهُ **الْإِمَامُ الْجُرْجَانِيُّ** -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- (الْمُتَوَفَّى سَنَةَ 816 هـ) فِي كِتَابِهِ "التَّعْرِيفَاتُ"، حَيْثُ قَالَ: "التَّوْبَةُ فِي الشَّرْعِ: هِيَ الرُّجُوعُ عَنِ الْأَفْعَالِ الْمَذْمُومَةِ إِلَى الْمَحْمُودَةِ."

## يَا عَبْدَ اللهِ، ارْكَبْ مَعَنَا السَّفِينَةَ المُاخِرَةَ إِلَى الدِّيَارِ الآخِرَةِ

- وَقَالَ **ابْنُ الْقَيِّمِ** -رَحِمَهُ اللهُ-: "التَّوْبَةُ هِيَ رُجُوعُ الْعَبْدِ إِلَى اللهِ، وَمُفَارَقَتُهُ لِصِرَاطِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّينَ". وَقَالَ إِنَّ حَقِيقَتَهَا: "النَّدَمُ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْهُ فِي الْمَاضِي، وَالْإِقْلَاعُ عَنْهُ فِي الْحَالِ، وَالْعَزْمُ عَلَى أَنْ لَا يُعَاوِدَهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ."

- وَقَالَ **الْإِمَامُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ** -رَحِمَهُ اللهُ-: "التَّوْبَةُ النَّصُوحُ: نَدَمٌ بِالْقَلْبِ، وَاسْتِغْفَارٌ بِاللِّسَانِ، وَتَرْكٌ بِالْجَوَارِحِ، وَإِضْمَارٌ أَنْ لَا يَعُودَ."

وَمَهْمَا يَكُنْ مِنْ أَمْرٍ، فَإِنَّ حَقِيقَةَ التَّوْبَةِ أَنْ يَعْرِفَ الْعَبْدُ ذَنْبَهُ، وَأَنْ يُدْرِكَ ضَرَرَهُ وَخَطَرَهُ، ثُمَّ يُبَادِرَ إِلَى الْإِقْلَاعِ عَنْهُ، وَيَنْدَمَ عَلَى مَا فَرَطَ، ثُمَّ يَعْزِمَ عَزْمًا أَكِيدًا أَنْ لَا يَعُودَ إِلَيْهِ أَبَدًا، وَأَنْ يُصْلِحَ مَا أَفْسَدَ، وَذَلِكَ بِالْإِقْبَالِ الْكُلِّيِّ عَلَى اللهِ جَلَّ وَعَلَا بِالطَّاعَاتِ، وَتَرْكِ الْمَعَاصِي وَأَسْبَابِهَا وَدَوَاعِيهَا.

وَقَدْ يُعَاوِدُ السَّائِلُ سُؤَالَهُ: "لِمَاذَا اخْتَرْتَ فِي أَوَّلِ رِحْلَةِ الْكَلَامَ عَنِ التَّوْبَةِ؟". أَقُولُ لَكَ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبُكَ: لِأَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ يَقُولُونَ إِنَّ **"التَّوْبَةَ هِيَ أَوَّلُ مَنَازِلِ السَّائِرِينَ، وَأَوْسَطُهَا، وَآخِرُهَا"**. فَإِنْ وُفِّقَ الْعَبْدُ الطَّائِعُ لِرَبِّهِ لِتَحْقِيقِهَا وَالِانْتِفَاعِ بِهَا، سَهُلَ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ مُوَاصَلَةُ سَيْرِهِ وَسَفَرِهِ. وَهَذَا فِي جَمِيعِ مَرَاحِلِهِ، إِلَى أَنْ يَلْقَى رَبَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- تَائِبًا إِلَيْهِ، مُخْبِتًا مُنِيبًا. قَالَ رَبِّي جَلَّ وَعَلَا: ﴿**يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ**﴾ [سورة الانشقاق: 6].

## يَا عَبْدَ اللهِ، ارْكَبْ مَعَنَا السَّفِينَةَ الْمُاخِرَةَ إِلَى الدِّيَارِ الْآخِرَةِ

إِنَّ التَّوْبَةَ تَتَعَلَّقُ بِالْعَبْدِ ابْتِدَاءً وَانْتِهَاءً، وَهِيَ وَاجِبَةٌ لَازِمَةٌ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا الْعَبْدُ فِي كُلِّ أَزْمَانِهِ وَأَحْيَانِهِ وَأَحْوَالِهِ؛ لِأَنَّ الْعَبْدَ لَا يَخْلُو مِنْ ذَنْبٍ، وَلَا يَبْرَأُ مِنْ مَعْصِيَةٍ، وَلَا يَسْلَمُ مِنْ خَطِيئَةٍ؛ سَوَاءٌ كَانَتْ عَلَى مُسْتَوَى الْقَلْبِ أَوِ اللِّسَانِ أَوِ الْجَوَارِحِ. وَيُعَدُّ ذَلِكَ مِنْ جُمْلَةِ مَا جُبِلَ عَلَيْهِ مِنْ نَقْصٍ وَعَيْبٍ وَضَعْفٍ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَسْلَمَ مِنْهُ أَحَدٌ إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللهُ -جَلَّ وَعَلَا- مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ وَالْمَلَائِكَةِ.

وَكُلُّ ابْنِ آدَمَ لَا بُدَّ وَأَنْ يُذْنِبَ وَيُخْطِئَ وَيَضْعُفَ، كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ- الَّذِي أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ وَحَسَّنَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" :-**كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ** ."وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ" :**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ** ."وَجَاءَ فِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ" :**لَوْ أَخْطَأْتُمْ حَتَّى تَبْلُغَ خَطَايَاكُمُ السَّمَاءَ، ثُمَّ تُبْتُمْ، لَتَابَ عَلَيْكُمْ** ."وَأَخْرَجَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ" :**قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً.**"

## يَا عَبْدَ اللهِ، ارْكَبْ مَعَنَا السَّفِينَةَ الْمُاخِرَةَ إِلَى الدِّيَارِ الْآخِرَةِ

وَالْحَقُّ الَّذِي لَا مِرْيَةَ فِيهِ أَنَّ الْجَمِيعَ يُذْنِبُ وَيَعْصِي وَيُخْطِئُ وَيُقَصِّرُ، مُسْتَقِلٌّ وَمُسْتَكْثِرٌ. وَلَوْ لَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، لَمَا انْتَفَعَ النَّاسُ بِمَا تَضَمَّنَتْهُ بَعْضُ أَسْمَاءِ اللهِ الْحُسْنَى؛ كَالْغَفُورِ وَالتَّوَّابِ وَالْعَفُوِّ وَالْغَفَّارِ وَالرَّحْمَنِ وَالرَّحِيمِ وَنَحْوِهَا. وَلَكِنَّ النَّاسَ يَتَفَاوَتُونَ فِي مُقَارَفَةِ الذُّنُوبِ وَاقْتِرَافِ الْمَعَاصِي.

وَلَعَلَّ شَاكًّا أَوْ مُتَرَدِّدًا يَقُولُ: "أَيْنَ دَلِيلُكَ عَلَى إِيجَابِ التَّوْبَةِ عَلَى الْعَبْدِ وَإِلْزَامِهِ بِهَا؟". فَنَقُولُ مُجِيبِينَ: يَأْتِي الدَّلِيلُ فِي كَلَامِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا...**﴾ سورة التحريم: 8

فَقَوْلُهُ "تُوبُوا" فِعْلُ أَمْرٍ، وَعُلَمَاءُ الْأُصُولِ يَقُولُونَ: إِنَّ الْأَمْرَ فِي نُصُوصِ الشَّرْعِ يُفِيدُ الْوُجُوبَ، إِلَّا أَنْ تُوجَدَ قَرِينَةٌ تَصْرِفُهُ إِلَى الِاسْتِحْبَابِ. فَالْآيَةُ تُفِيدُ وُجُوبَ التَّوْبَةِ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ.

وَقَدْ جَاءَ فِي السُّنَّةِ الْمُطَهَّرَةِ أَنَّهُ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يَسْتَغْفِرُ اللهَ وَيَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَزْيَدَ مِنْ مِئَةِ مَرَّةٍ.

❁ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنِ **الْأَغَرِّ الْمُزَنِيِّ** -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ" :**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوبُوا إِلَى اللهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِئَةَ مَرَّةٍ**."

فتيبة عمر بن محمد الطاهر شابي
SUBSCRIBE

## يَا عَبْدَ اللهِ، ارْكَبْ مَعَنَا السَّفِينَةَ الْمُاخِرَةَ إِلَى الدِّيَارِ الْآخِرَةِ

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ" :**وَاللهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً."**

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- قَالَ" :**إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِئَةَ مَرَّةٍ: رَبِّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)** ."أخرجه أبو داود والترمذي وصححه الألباني .(فَتَأَمَّلْ -رَعَاكَ اللهُ- فِي حَالِهِ -صَلَوَاتُ رَبِّي وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-، وَهُوَ الَّذِي غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَكَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، وَيَقُولُ" :**أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟."**

اعْلَمُوا -رَحِمَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ- أَنَّ الذُّنُوبَ جِرَاحَاتٌ، وَرُبَّ جُرْحٍ وَقَعَ فِي مَقْتَلٍ فَهَلَكَ صَاحِبُهُ. وَهِيَ تَقْطَعُ السَّائِرَ إِلَى اللهِ عَنْ سَيْرِهِ، وَقَدْ تُعِيقُهُ وَتُثْقِلُ خُطُوَاتِهِ. وَكُلَّمَا صَغُرَ الذَّنْبُ فِي عَيْنِ الْعَاصِي، عَظُمَ عِنْدَ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا .قَالَ **عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ** -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ" :-**إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا)** ."رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ .(وَصَدَقَ مَنْ قَالَ (وَيُنْسَبُ لِلْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ)

**رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ *** وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِدْمَانُهَا**

**وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ *** وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا**

## يَا عَبْدَ اللهِ، ارْكَبْ مَعَنَا السَّفِينَةَ الْمُاخِرَةَ إِلَى الدِّيَارِ الْآخِرَةِ

وَهُنَا يَأْتِي السُّؤَالُ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ :**هَلْ لِلتَّوْبَةِ شُرُوطٌ تَصِحُّ بِهَا؟** الْجَوَابُ: نَعَمْ، وَشُرُوطُهَا هِيَ:

1. **الْإِقْلَاعُ عَنِ الذَّنْبِ فَوْرًا** :وَالْكَفُّ عَنْهُ وَالِابْتِعَادُ عَنْ دَوَاعِيهِ وَأَسْبَابِهِ.
2. **النَّدَمُ وَالتَّحَسُّرُ** :عَلَى اقْتِرَافِ الذَّنْبِ، وَهَذَا أَسَاسُ التَّوْبَةِ، وَمَحَلُّهُ الْقَلْبُ.
3. **الْعَزْمُ الْأَكِيدُ** :عَلَى عَدَمِ الرُّجُوعِ إِلَى الذَّنْبِ مُسْتَقْبَلًا.
4. **رَدُّ الْمَظَالِمِ** :إِذَا تَعَلَّقَ الذَّنْبُ بِحَقِّ آدَمِيٍّ، كَسَرِقَةٍ أَوْ غِيبَةٍ.
5. **أَنْ تَكُونَ التَّوْبَةُ فِي وَقْتِ الْقَبُولِ** :أَيْ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَقَبْلَ حُضُورِ الْمَوْتِ (الْغَرْغَرَةِ).

أبي قتيبة عمر بن محمد الطاهر شابي

أَيُّهَا الرُّكَّابُ الْأَفَاضِلُ، اعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ تَتَحَقَّقَ لِلْعَبْدِ تَوْبَتُهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَتُوبَ اللهُ – جَلَّ وَعَلَا– عَلَيْهِ أَوَّلًا. فَلِلْعَبْدِ مِنَ اللهِ تَوْبَتَانِ، وَمِنَ الْعَبْدِ تَوْبَةٌ وَاحِدَةٌ:

- **تَوْبَةٌ مِنَ اللهِ قَبْلَ تَوْبَةِ الْعَبْدِ** :وَهِيَ تَوْفِيقُهُ وَإِذْنُهُ وَإِلْهَامُهُ لِلتَّوْبَةِ.
- **تَوْبَةٌ مِنَ الْعَبْدِ** :وَهِيَ امْتِثَالُهُ وَقِيَامُهُ بِشُرُوطِ التَّوْبَةِ.
- **تَوْبَةٌ مِنَ اللهِ بَعْدَ تَوْبَةِ الْعَبْدِ** :وَهِيَ قَبُولُهَا مِنْهُ وَالتَّكَرُّمُ عَلَيْهِ بِالْمَغْفِرَةِ. قَالَ تَعَالَى :﴿...ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا...﴾ سورة التوبة: 118.

وَاعْلَمْ –يَا عَبْدَ اللهِ الْمُوَفَّقَ– أَنَّ اللهَ تَعَالَى أَخْبَرَ بِأَنَّهُ يَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْعَاصِي حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، وَهُوَ تَعَالَى أَشَدُّ فَرَحًا مِنْ ذَلِكَ الْأَعْرَابِيِّ الَّذِي أَضَلَّ رَاحِلَتَهُ

## يَا عَبْدَ اللهِ، ارْكَبْ مَعَنَا السَّفِينَةَ الْمُاخِرَةَ إِلَى الدِّيَارِ الْآخِرَةِ

بِالصَّحْرَاءِ فَلَمْ يَجِدْهَا، فَاسْتَسْلَمَ لِلْمَوْتِ، وَفَجْأَةً اسْتَيْقَظَ فَوَجَدَهَا عِنْدَ رَأْسِهِ، فَمِنْ شِدَّةِ فَرَحِهِ أَخْطَأَ فَقَالَ" :**اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ."!**

وَالْآنَ، قَارَبَتْ رِحْلَتُنَا عَلَى الِانْتِهَاءِ، لِنَعُودَ أَدْرَاجَنَا مَرَّةً أُخْرَى إِلَى دِيَارِنَا وَأَهَالِينَا، اسْتِعْدَادًا لِلرِّحْلَةِ الثَّانِيَةِ -إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى- فِي قَادِمِ الْأَيَّامِ. لِذَا أَقُولُ لِمَنْ صَاحَبَنِي فِي هَذِهِ الرِّحْلَةِ الْمُبَارَكَةِ:

**يَا مَنْ تَسْعَى إِلَى التَّوْبَةِ النَّصُوحِ قَبْلَ أَنْ لَا تَكُونَ تَوْبَةٌ :**

- الْبِدَارَ الْبِدَارَ... قَبْلَ أَنْ يُغْلَقَ بَابُ التَّوْبَةِ !
- الْإِنَابَةَ الْإِنَابَةَ... قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ زَمَنُ الْفَاقَةِ!
- النَّدَمَ النَّدَمَ... قَبْلَ حُلُولِ مَا لَا يَنْفَعُ فِيهِ النَّدَمُ !
- الْإِقْلَاعَ الْإِقْلَاعَ... قَبْلَ حِينٍ لَا يَنْفَعُكَ فِيهِ الْإِقْلَاعُ !
- الرُّجُوعَ الرُّجُوعَ... قَبْلَ أَنْ لَا تَتَمَكَّنَ مِنَ الرُّجُوعِ!

وَاسْمَعْ إِلَى هَذَا الْقَائِلِ يُصَوِّرُ الذَّنْبَ وَقَدْ عُرِضَ عَلَى صَاحِبِهِ يَوْمَ الْحِسَابِ:

**تَذَكَّرْ يَوْمَ تَأْتِي اللَّهَ فَرْدًا *** وَقَدْ نُصِبَتْ مَوَازِينُ الْقَضَاءِ**

**وَهُتِّكَتِ السُّتُورُ عَنِ الْمَعَاصِي *** وَجَاءَ الذَّنْبُ مَكْشُوفَ الْغِطَاءِ**

أَسْأَلُ اللهَ جَلَّ وَعَلَا بِمَنِّهِ وَجُودِهِ وَكَرَمِهِ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْنَا، وَأَنْ يَتَقَبَّلَ تَوْبَتَنَا، وَأَنْ يَقِينَا شُرُورَ أَنْفُسِنَا .**وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**

الموقع الرسمي للشيخ: أبو قتيبة عمر بن محمد الطاهر شابي
SUBSCRIBE LIKE SHARE